أهمية الحضارة فى تاريخ الديانات

www.abulhasanalinadwi.org

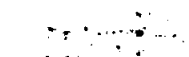

www.abulhasanalinadwi.org

أهمية الحضارة

في تاريخ الديانات وحياة أصحابها

لأبي الحسن علي الحسني الندوي

مكتبة العلامة عبد الحي الحسني
دار عرفات رائے بريلي يوپي

لكهنو

www.abulhasanalinadwi.org

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

هذه الرسالة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد ! فإن أستاذنا سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى اتضحت له ــ أثناء سياحاته فى الكتب وسياحاته فى العالمين الإسلامى والعربى ــ أهمية الحضارة فى تاريخ الديانات وحياة أصحابها والمنتمين إليها ، وتحقق له أن كل أمة تجرد عن حضارتها التى تقوم على أسس ديانتها ومبادئها وتصورها للحياة والاجتماع ، ومفاهيمها للطهارة والنظافة والجمال والأناقة ، والفضيلة والعدالة ، ومثلها العليا ، أو تتنازل عنها ــ لسبب من الأسباب ــ فإنها ستنتهى إلى تحلل وذوبان ، ويفقد الدين سيطرته على هذه الأمة حتى يؤول إلى عقيدة نظرية محدودة مؤقتة .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد أفزعه تناسى الشعوب والمجتمعات الإسلامية لهذه الحقيقة التاريخية ، والأصل المقرر فى علم النفس والاجتماع ، وملكته هذه الفكرة حتى أصبحت له دعوة ونداء للعالم الإسلامى ، وكان يتحين الفرصة للتنبيه على ذلك والتخويف من هذا الخطر المحدق أو المؤامرة الأوربية الدقيقة المدبرة ، وقد ألقى فى هذا الموضوع ثلاث محاضرات فى مدة قريبة ، إحداها فى كراتشى حين حضرها بمناسبة المؤتمر الإسلامى ، وثانيتها فى إسلام اباد أوتيل Islamabad Hotel فى حفلة التكريم التى عقدت هناك ، وكلتاهما فى شهر يولية سنة ١٩٧٨م ، وثالثتها فى الفجيرة (دولة الإمارات العربية المتحدة) فى ٢١ يناير ١٩٧٩ م ، ومع الأسف لم يحصل لنا شريط المحاضرتين الأوليين فنكتفى بعرض المحاضرة الثالثة الأخيرة نقلا من الشريط المسجل ، وقد تناولها سماحة الشيخ بالتنقيح والتهذيب ، فجاءت واضحة مرتبة كمقالة أو رسالة ، وافية بالغرض الذى ألقيت له ، منيرة مثيرة فى وقت واحد .

www.abulhasanalinadwi.org

ولأهمية الموضوع نضم إليها قطعة من كتابه الشهير « الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية » هى فى نفس الموضوع وننشر كل ذلك فى رسالة ليطلع عليها أكبر عدد من القراء العرب ، لعل ذلك يحرك شعورا فى بعض المفكرين وقادة الرأى ومن بيدهم زمام الأمور والتخطيط المدنى والحضارى فى بلادنا العربية الإسلامية العزيزة ، وبيد الله التوفيق .

سعيد الأعظمى الندوى
رئيس تحرير مجلة « البعث الإسلامى »
٧/ ١١/ ١٣٩٩هـ

www.abulhasanalinadwi.org

أهمية الحضارة فى تاريخ الديانات وحياة أصحابها

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

سادتى وإخوانى :« إن كثيراً من الناس الذين لم يتعمقوا فى دراسة علم النفس الإنسانية والفلسفة الإجتماعية ، وتاريخ الحضارات والمدنيات ، يعتقدون أن الدين محدود فى إطار العقيدة ، فالدين ـــ كما تقول الفلسفة الغربية النصرانية التى خضعت لعوامل تاريخية قاهرة متنوعة ـــ « قضية شخصية ، وهو علاقة العبد بربه لا غير » فالانسان هو متدين إذا وقف أمام ربه فى معبد من معابد الدنيا ، أما إذا خرج من هذا المعبد أو تحرر من هذه البيئة ، فإنه حر يتصرف كما يشاء ، إنه تفسير خشيب للدين لا صلة له بالحياة المتنوعة ، الحياة المتأثرة المؤثرة فى وقت واحد ، فإذا لم يكن للدين غير

www.abulhasanalinadwi.org

هذا المعنى ، وإذا لم يكن للعقيدة غير هذا التفسير ، فهذا الدين هو دين محدود مؤقت ، وليس هناك خط يربط الإنسان بالخارج ، بالعالم الفسيح الواسع ، الجميل الزاهى ، الحى المتدفق بالحيوية ، الذى يعيش فيه ، هذا التفسير للدين ـــ كما قلت ـــ هو تفسير غربى خاضع لعوامل كثيرة فرضت على العالم الغربى بحكم طبيعة الدين الذى كان يدين به وطبيعة المكان الذى كان يعيش فيه ، وطبيعة الأحداث التى تفاعلت فى تكوينه وفى تنميته وحتى فى تفكيره .

ولكن الدين الذى نزل من السماء ، ونزل به الروح الأمين على قلب محمد عليه الصلاة والسلام أخيرا ، الدين الذى ختم الله به الأديان كلها والرسالة التى ختم بها الله الرسالات كلها ، هو دين متصل بالحياة لايمكن أن ينقطع عن الحياة وتستغنى الحياة عنه ، إنه دين لا يعيش مع الحياة فحسب بل يسيطر على الحياة ، إنه ليس ظلًا للحياة ، بل يجب أن تكون الحياة ظلًا له ، وامتداداً لعقيدته ، وتطبيقاً لتفسيره لهذا الكون ، فالدين الذى يضع نفسه ـــ وبتعبير أصح يضع أهله ـــ فى

www.abulhasanalinadwi.org

قفص من طقوس وتقاليد دينية ، وفرائض وواجبات شرعية ، إنه دين هزيل شاحب ، قد فقد الحيوية ، إنه دين لا جاذبية فيه ، إن الدين وثيق الصلة بالحضارة ، فلا بد أن يكون هناك انسجام وتجاوب بين ما يعتقده الإنسان ويؤمن به ، وبين الحياة التى يعيشها ، فإذا كانت هناك فجوة بين العقيدة وبين الحياة ، الدين والعقيدة فى واد ، والحياة فى واد ، فإنه دين لا سيطرة له على الحياة ، أما الدين الحى ، الدين السماوى ، فهو الدين الذى يسيطر ولا يُسيطر عليه ويحكم ولا يُحكم عليه ، الدين الذى يسود ويقود ، لا الدين الذى يُقاد ويُفسر كما يشاء الإنسان ، الدين الصحيح هو الذى يسبك الحياة سبكاً جديداً ، ويتحكم فى الحياة ، يقول : هذا خالص ، وهذا زائف ، هذا حلال ، وهذا حرام ، وهذا صواب ، وهذا خطأ .

أما الدين الإسلامى فأمره أوضح من أمر غيره ، هذا الدين هو صبغة الله التى يصبغ بها الإنسان ، كما جاء فى القرآن : ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ﴾ فالدين صبغة يصطبغ بها الإنسان

www.abulhasanalinadwi.org

من الرأس إلى القدم ، تصطبغ به حياته . تصطبغ به أساليب فكره ، تصطبغ به موازين القيم ، تصطبغ به المقاييس التى يطبقها للحياة ، تصطبغ به حياته المنزلية وحياته العائلية وحياته المدنية .

إن الدين الذى جرد عن المدنية ـــ وقد جرد كثيراً فى التاريخ ، وتكررت هذه التجربة فى فترات كثيرة ـــ فكان ديناً ولا حضارة ، كان ديناً ولا إجتماع ، كان ديناً ولا حياة ، فهو كطائر مقصوص الجناح منتوف الريش لا يستطيع أن يطير ويحلق فى الأجواء ، إنه طائر يترفرف ويضطرب فهو أشبه ببلبل فى قفص من ذهب وإن كان بلبلًا غريداً أو عندليباً ساجعاً مترنماً ، أما الدين الحقيقى فهو الدين الذى يطير بجناحيه فى أجواء من المعانى وفى أجواء من الأخلاق والمعاملات والسياسة والمدنية ، وهو يسبك الحياة سبكا مطابقا لعقيدته ولما يدين به ، ظهر الإسلام فأنتج حضارة كاملة بحذافيرها ، حضارة زاهية زاهرة ، حضارة حكيمة عادلة ، حضارة مؤسسة على توحيد الله تبارك وتعالى والإيمان به ، وعلى ذكر الله تعالى ، واستحضار قدرته ، واستحضار الآخرة ،

www.abulhasanalinadwi.org

والإيمان بأن الآخرة خير من الأولى ، مؤسسة على العدل الاجتماعى ، وعلى الاحترام للإنسانية ، والرحمة بها ، وعلى الجمع بين الواجبات والحقوق فى وقت واحد والأخذ والعطاء ، والإفادة والاستفادة فى حين واحد ، وعلى الاعتراف بقيمة الإنسان أيا كان وأينما كان ، هذه الحضارة قامت على أساس العقيدة ، وعلى أساس التربية الإلهية ، والنصوص القرآنية السماوية ، وعلى أساس السيرة النبوية وأسوة الصحابة رضى الله عنهم ، فكان أزهى حضارة وأعدل حضارة ، وأعقل حضارة ، وأعلم حضارة ، وأفضل حضارة جربها الإنسان ، ظهرت هذه الحضارة فى الحجاز أولًا فى مدينة الرسول ﷺ وفى مهجره وآله وصحبه ، ثم خرجت من حدود المدينة وغزت العالم كله ، وما دخلت فى بلد من البلاد إلا وخضع لها أهلها طواعية لا كراهية وتغلغلت فى أحشاء البلد أو المجتمع الذى فتحته ، وتعلمون أن أمة إذا فتحت عنوة بحد السيف فإنها تبغض الفاتحين ، هذه تجربة التاريخ المتصلة المتكررة ، ولكن الحضارة الإسلامية وقعت فى قلوب المواطنين موقع الحبيب ،

www.abulhasanalinadwi.org

وقبلتها البلاد وضمتها إلى صدرها ، لأنها كانت حضارة طبيعية عادلة عاقلة ، مؤسسة على مبدأ المساواة الإنسانية ومبدأ الرحمة بها ، وإخراج الناس من حكم العباد إلى حكم الله تبارك وتعالى ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

فكل دين يجرد من الحضارة دين صائر إلى الإنقراض ومصيره الزوال السريع ، وكل دين يرضى أهله بهذا الموقف الضعيف المتخاذل ، فيرضون من الدين بالعقيدة ، ولا يلحون على مدنية خاصة ، هى نتاج هذا الدين ، ويقتبسون أو يستوردون من مدنية أخرى هى وليدة بيئة أخرى ، وسليلة ديانة أخرى ونتيجة أحداث وعوامل مرت بها أمة خاصة أو بلد خاص ، فإنهم يفقدون مع الأيام ومع تيار الزمان شخصيتهم ، ويفقد الدين الذى دانوا به السيطرة على نفوسهم وعقولهم ويكونون صورة صادقة أو نسخة مضبوطة أمينة للأمة التى تطفلوا على مائدتها ، واقتبسوا منها الحضارة ونمط الحياة ، وهذا مانتخوفه اليوم على العالم الإسلامى الذى يقتبس من الغرب مدنيته وأساليب حياته .

www.abulhasanalinadwi.org

إن المدنية الغربية لها تاريخ خاص ، فقد تكونت أولا ثم تطورت ونمت وارتقت ، تحت ضغط عوامل تاريخية سياسية ، وحضارية وفلسفية كثيرة ، فكيف تتفق هذه الحضارة التى هى سليلة للحضارة الرومانية واليونانية ، مع هذا الدين السمح ، دين الفطرة ، دين الله الذى أنزله الله تعالى من فوق سبع سماوات ؟ إن حضارة عجنت خميرتها من عناصر أخرى ، ومع فلسفات أخرى ، كيف تنقل أو تستورد هذه الحضارة استيراداً ؟ نعم نستورد المصنوعات الميكانيكية والمنتجات الحضارية الكثيرة ، لا غرابة فى ذلك ، ولا استنكار فيها ، ولكن نستورد حضارة برمتها وبحذافيرها ، ونطبقها فى بلد إسلامى عربى ، هذا لا يعقل ، إن المسلم العربى أو العجمى الذى ينشأ فى هذه الحضارة يفقد الشيء الكثير من حساسيته الدينية ، ويضطر إلى أن يتخلى عن جزء كبير من أحكام دينه وشريعته ، وهذا الدين يتطلب بطبيعته بيئة خاصة ، وجوا خاصا ، يلائم الأحكام الشرعية ، ويتفق معها ، ويخدمها ، ويساعد عليها ، مثلا أنا أدخل فى فندق كبير ، إننى أريد أن أتطهر . لا أجد

www.abulhasanalinadwi.org

كيف أستخدم الماء ، ليست هناك أشياء تساعدنى على الانتفاع بالماء ، وإن كان الماء وافراً ، لا أقول النظافة فالطهارة مفهوم شرعى لها شروط وقيود تعرفونها — التى يطلبها الإسلام ولا تصح بدونها الصلاة والعبادات .

ثم إذا دخل الإنسان فى فندق مثلا أو فى بلد مثلا لا يجد شيئا يذكره بالله ، لا يجد شيئا يذكره بالآخرة ، لا يجد شيئا يذكره بالموت ، بل بالعكس كل شىء يشغله عنه ويستخف ويستهزىء به ، أنا دخلت فى بارك أوتيل (Park Hotel) فى طهران فى زيارتى لها فى وفد رابطة العالم الإسلامى فى سنة ١٩٧٣ ، فلما دخلت الغرفة وفتحت المنضدة التى كانت أمامى ما وجدت فى درجها إلا كتابا واحدا هو « الكتاب المقدس » (Bible) هذه عاصمة المملكة الإسلامية الإيرانية التى لعبت دوراً رائعاً فى تاريخ الإسلام ، وتاريخ الثقافة الإسلامية ، وأنجبت أئمة فى علم الحديث وفى الفقه ، وفى أصول الفقه ، وفى الحكمة ، هذه أرض النبغاء والعماليق المسلمين ، هذه يونان الشرق ، هذه إيران التى زادت فى ثروة الإسلام والمسلمين ، أنا لا أجد فى هذا الفندق الكبير الذى

www.abulhasanalinadwi.org

يقوم فى عاصمة إيران ، لا أجد إلا نسخة من بائيبل ، شيء مؤسف ومخجل ! لماذا لا أجد فيه المصحف ؟ طيب ، ليس كل واحد يتلو القرآن ، ولكن لماذا لا أجد فيه شيئا من الأدب الإسلامى الإيرانى ؟ ياليتنى كنت وجدت هناك ديوانا لشاعر مسلم فارسى كبير فأتسلى بذلك ، وأقول هذا هو الطابع الإيرانى الإسلامى ، ولكن لا أجد إلا بائيبل ، هذا هو الغزو الحقيقى للبلد الذى تدخل فيه الحضارة الأوربية .

وأدخل فى فندق كبير كذلك فى بلد عربى صميم لا أسميه ، فأجد صورة واحدة معلقة فى كل غرفة ، هى صورة كنيسة ، والبلد وثيق الصلة بالجزيرة العربية ، وبالحرمين الشريفين ، لماذا لا أجد فى هذه الغرف صورة الحرم المكى ، وصورة الحرم النبوى ، لماذا لاأجد صورة مسجد عام ؟ قد تبدو هذه لبعض الناس أشياء سطحية ، لا يا إخوانى إن لكل ذلك أثراً قوياً قاهراً على النفس الإنسانية ، ليست النفس الإنسانية هى العقل كله ، إذا كانت النفس الإنسانية عقلا كله فقط لا شعور فيه ، ولا ضمير له ، ولا حساسية فيه ، لا يتألم

www.abulhasanalinadwi.org

ولا يحزن ، ولا يغضب ولا يسر ، فهذا لا يستحق أن يسمى إنساناً ، هذا ليس كائناً حياً ، إنما هو ميت لا عقل له ولا عاطفة ، ولا حساسية فيه ، ولا شعور . لا يتألم ولا يفرح ولا يحزن ولا يغضب ، ولا يثور .

إذا رجعت إلى وطنى لماذا أفرح ؟ الأرض سواء ، الطبيعة واحدة ، السماء واحدة ، الأشجار متشابهة ، وكل شيء متشابه ، لماذا ينشرح صدرى ، وتقر عينى ، ويثلج فؤادى إذا وطئت أرض بلادى ، ونزلت من الطائرة ينشرح صدرى ، لماذا ؟ لأن هناك أشياء مألوفة ألفتها نفسى ، وعاشت فيها مدة من الزمان ، وكان لها فيها وكر تأوى إليه هذه النفس ، فلما وطئت هذه الأرض وجدت المألوفات تكثر ووجدت المكروهات تقل وتنكمش ، وجدت المألوفات منتشرة حولى ، هذا أخى جاء ليسلم علىّ ، هذا صديقى جاء يهنئنى ، وهذا هو الحى الذى مررت به كثيرا وألفته ، لذلك أنا أفرح ، فإذا كان الإنسان مجرد عقل ، لماذا يفضل مكانا على مكان ، لماذا يفضل حيا على حى ، لماذا يفضل أسرة على أسرة ، لماذا يفضل صورة على صورة ؟ لأن الإنسان

www.abulhasanalinadwi.org

عقل وضمير ، وقلب ووجدان .

لذلك كان من الطبيعى ومن المعقول جداً أن يجد المسلم فى بلد إسلامى ما ألفه من شعارات الإسلام ، ومن مظاهر المسلمين ، فيميز المجتمع الإسلامى من غيره فى أول وهلة وحين يطأ بقدمه الأرض ، للإنسان المسلم كل الحق أن يتوقع أنه لا يدخل فى بلد إسلامى إلا ويرى شعار الإسلام مرتفعا ، لماذا يفرح المسلم إذا سمع الأذان ، لأنه عرف أنها أرض المسلمين ، لذلك كان رسول الله ﷺ ينتظر الأذان إذا غزا قوما ، فإذا سمع الأذان قال انصرفوا.. هؤلاء مسلمون .

إن لكل مدنية شخصية ، المدنية الإسلامية لها شخصية متميزة ولها طابع خاص ، والمدنية الغربية لها شخصية غربية مسيحية رومية يونانية ، ما يمكن تجريدها عن هذه العناصر الرومانية واليونانية واللادينية التى التصقت بها ، واختمرت هذه المدنية مع هذه العناصر فلا يمكن تجريد هذه المدنية منها ، كذلك من قلد هذه الحضارة تقليدا أعمى واقتبسها كمتطفل وكمقدس ، وكخاضع ، فإنه ينسى مع الأيام القليلة جدا

www.abulhasanalinadwi.org

أنه فى خضم حضارة ليست إسلامية .

إن الحضارة لها تأثير كبير ، أضرب لكم مثلا بالتتار ، وإننا نستطيع أن نأخذ منهم درسا كبيرا ذا قيمة تاريخية عظيمة ، لما زحفوا على العالم الإسلامى وكانوا كالجراد المنتشر وأثخنوا العالم الإسلامى قتلا وجراحا ، وأذلوه إلى آخر نقطة ، حتى كان من المثل السائر ، إذا قيل لك إن التتار انهزموا فلا تصدق ، هذا كان مدى تأثير التتار وسيطرتهم على العقل الإسلامى ، لا أقول على الجسم الإسلامى فقط ، ولكن لماذا خضعوا للإسلام ؟ هل تعرفون سره ؟ خضعوا للإسلام لسببين : الأول ؛ القوة الروحية المخلصة المجردة عن الأنانية وعن المطامع الدنيوية التى كان يحملها أهل القلوب البريئة المؤمنة ، الخاشعة لله تبارك وتعالى فى القرن السابع الهجرى . والسبب الثانى ؛ أن التتار لم يكونوا يحملون حضارة ، كانوا يحملون سيفا ، كانوا يحملون أعرافا جاهلية صينية . ولكن ما كانت ترافقهم حضارة ، فلما واجهوا الحضارةَ الإسلامية ، وهى بجمالها وكمالها ، وعمقها وسعتها ، خضعوا لهذه الحضارة وتأثروا بها ،

www.abulhasanalinadwi.org

فلما تأثروا بهذه الحضارة تدرجوا إلى الإسلام ، حتى دخلوا عن بكرة أبيهم فى الإسلام ، هذه هى غريبة من غرائب التاريخ البشرى ، إلى الآن لم تفسر تفسيرا كاملا ، وقد حار فى تعليلها كبار علماء الغرب والشرق (١) . خضع التتار للإسلام بتأثير الحضارة الإسلامية لأنهم كانوا لا يزالون يعيشون فى دور البداوة والطفولة الحضارية ، فلما دخلوا فى العالم الإسلامى الراقى المتقدم الذى قطع أشواطاً بعيدة فى مضمار الحضارة ، والعقل البشرى ، خضعوا لهذه الحضارة وأصابتهم دهشة ، أصابت المسلمين دهشة الفتح وأصابت التتار دهشة الحضارة الإسلامية ، هذا مصير كل أمة تخضع لحضارة قد عجنت طينتها فى بلد آخر ، وفى بيئة أخرى ، إن مصيرها أنها تخضع لتأثيرات أجنبية كثيرة .

فأقول لكم أيها الاخوان ، إن قضية الحضارة قضية مهمة ودقيقة ، قضية كبيرة الحساسية بالنسبة إلى مصير

(١) ليرجع للتفصيل إلى كتابنا « رجال الفكر والدعوة فى الإسلام » الجزء الأول ، عنوان « انتشار الإسلام فى التتار » .

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام والمسلمين . نحن الآن نمر بمرحلة عصيبة من مراحل حياتنا ، وهو أننا الآن نأخذ الحضارة الغربية على علّاتها وبحذافيرها ، إنه لا أصالة لنا فيها ولا حكم لنا عليها ، إنما نحن متطفلون على مائدتها ، نغرف من بحرها ، وتغمرنا موجتها حتى نغرق إلى الآذان ، هذا شيء خطير يشكل خطراً عظيماً على مصير الإسلام والمسلمين .

كونوا حذرين أيها الاخوان فى قضية هذه الحضارة الغربية ، فإننى أخاف أن تكون هنالك مؤامرة دقيقة ضد العالم الإسلامى ، فالغرب لما عرف أن المسلم هو شديد الحساسية فيما يتصل بالدين ، تراجع الآن هو من موقفه القديم فى الهجوم على الدين ، وأصبح هو لا يهاجمنا فى ديننا الآن ، هو عرف بالتجارب المتكررة العديدة أن التعرض لعقيدة المسلمين يثير خطرا كبيرا ، وقد يحبط مساعيه ويفسد مخططاتهم الاستعمارية ، فاقتنع بأن يفرض على العالم الإسلامى حضارته ، إنه الآن لا يمسنا فى عقيدتنا ، فيقول بلسان حاله : اعبدوا ما شئتم ، وآمنوا بما شئتم ، وكونوا ما شئتم ، واقرءوا ما شئتم ، ولكن هذه حضارتنا ، عيشوا كما نعيش ، وكلوا

www.abulhasanalinadwi.org

كما نأكل ، والبسوا كما نلبس ، وانشئوا الأوتيلات والفنادق والقصور والمنازل كما أنشأناها فى بلادنا ، مجردة من أدوات الطهارة ، مجردة من شعارات الإسلام ، مجردة من ملامح الحضارة الإسلامية ، وهو عرف أن العالم الإسلامى أو العربى إذا قبل هذا الوضع فإنه فى وقت قصير ، سيفقد أكبر مقوماته ومشخصاته ويبقى محدوداً مقيداً لدينه فى مكان محدود ، فى وقت محدود ، إذا كان فى المسجد فهو مسلم يركع ويسجد ، ولكن إذا خرج وآوى إلى بيته ، أو نزل فى أوتيل ، فإنه لا يدل شيء على أنه مسلم ، إلا إذا سئل عن اسمه ، فقال أنا فلان وذكر اسما اسلاميا عربيا .

هذه هى « الاستراتيجية » الجديدة التى توصل إليها الغرب بعد تجارب طويلة مريرة ، أخضعوا العالم الإسلامى للحضارة الغربية ولا تهيجوه فى عقائده وعواطفه . نعم ، الدين الإسلامى هو كما تشاءون ، القرآن أمامكم ، تعلموا العلم ، اعبدوا ما شئتم ، ولكن الحضارة المثلى ، الحضارة العصرية الجديدة هى الحضارة الغربية . هذا هو الوضع الخطير الذى يعيشه العالم الإسلامى اليوم . وإننى أنتهز الفرصة لأنفس عن

www.abulhasanalinadwi.org

ضميرى ولأنفس قليلا عن هذا الألم الذى يساورنى ، فى أحد المجتمعات الإسلامية والمدن العربية ، فلى الحق فى أن أبدى ما أشعر به من ألم ، أنتم تملكون زمام أموركم ، لستم مدفوعين . لا تعيشون الآن تحت رحمة أى دولة ولا أى قوة ، لكم فرصة السبك الجديد ، لكم فرصة الصياغة الجديدة ، تصوغون مجتمعكم كما تشاءون وتصوغون مدنيتكم كما تشاءون ، وتصوغون حياتكم كما تشاءون . من الذى يسوقكم هذا السوق العنيف نحو الغرب الذى لا هوادة فيه ، ولا رحمة ؟ إن الله سبحانه وتعالى أكرمكم بالوسائل والطاقات والثروات والخيرات ، بل الآن الغرب فى حاجة إليكم ، فلماذا لا تملون إرادتكم ورغبتكم على بلادكم على الأقل ، إننى أتمنى ذلك الزمن السعيد الذى نستطيع نحن المسلمون أن نملى إرادتنا ورغبتنا على الغرب ، ولكن إذا لم تسنح هذه الفرصة بعد ، فلماذا لا نملى إرادتنا ورغبتنا على مجتمعنا وعلى مدنيتنا وعلى بلدنا وعلى حياتنا ؟ نبنى على الطراز الإسلامى الشرقى الجميل ، ننشىء أوتيلات وفنادق على المثال الإسلامى الذى يتفق مع آداب الإسلام ، ومع تعاليم الإسلام التى تساعد على الطهارة

www.abulhasanalinadwi.org

وتساعد على الصلاة وعلى ذكر الله تبارك وتعالى ، الجو ملهم للشر والخير ، فلماذا لا يكون جونا ملهما للخير ملهما لذكر الله تبارك وتعالى ، الانسان ينسى الله ولكنه إذا دخل فى هذا الجو واستنشق الهواء تذكر الله وتذكر الآخرة ، كان كل من يدخل فى مدينة الرسول ﷺ ، بل فى مدينة من المدن الإسلامية المثالية فى العصر الإسلامى الذهبى يتنفس برئتى الإسلام . ويتنشق أريجه ، ويلمسه ببنانه ويذوقه بلسانه ، فينتقل من عالم إلى عالم ، ومن جو إلى جو فتقصر المسافة بينه وبين فهم الإسلام. ويسهل عليه بل يحبب إليه العمل به . فلا يرجع من هذا البلد الإسلامى بل المجتمع المثالى إلا وهو واع داع للإسلام ، ومثال من أمثلته ، ونموذج من نماذجه ، وهذا الذى نتمناه اليوم من مدننا الإسلامية والعربية ، لا العكس الذى نجربه ونصطدم به مع الأسف من منافاة الواقع للتصور ، وتكذيب الحاضر للماضى ، والتشكيك فى صلاحية الإسلام لمسايرة الحياة وتخطيط المدنية الفاضلة والمجتمع السعيد .

والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

www.abulhasanalinadwi.org

أهمية الحضارة فى حياة الأمة

الحضارة عميقة الجذور فى أعماق النفس الإنسانية وفى مشاعر الأمة وأحاسيسها ، وتجريد أمة عن حضارتها الخاصة التى نشأت تحت ظلال دينها وتعاليم شريعتها ، وكان فى صياغتها نصيب كبير للذوق الدينى الخاص ، وطابع هذه الأمة الخاص ، مرادف لعزلها عن الحياة وتحديدها فى إطار العقيدة والعبادة والطقوس الدينية الضيق ، وفصل حاضرها عن ماضيها ، وأثر هذا التحويل كان عميقا دائما فى حياة الأمم والمجتمعات البشرية ، فإنها ذابت تدريجيا فى بوتقة الأمم التى اقتبست منها هذه الحضارة بمعانيها الواسعة ، وكان انسلاخها عن العقيدة التى بقيت متمسكة بها سهلا .

www.abulhasanalinadwi.org

وليس المقصود من إبراز ناحية الحضارة الغربية واقتباسها على الشخصية الإسلامية ، وكيان الأمة المسلمة ، هو تحريم الاستفادة من الحضارة الغربية فى مرافق الحياة ، واقتباس بعض ما توصل إليه العلم والصناعة والاختراع فى الغرب من وسائل تسهيل وترفيه ، واغلاق الباب عن مصراعيه ، فإن ذلك لا يقوله عاقل فضلا عن مطّلع على روح الدين وتعاليمه ، والإسلام لم يزل ولا يزال واسع الأفق ، متفتح القلب والنظر فى الاستفادة بكل ما يصلح وينفع ، ولكن مفهوم الحضارة الغربية فى هذا المقال هو أوسع من اقتباس الآلات والمخترعات والتجارب المفيدة فى الحياة العامة ، إنها تشمل الأفكار والقيم والمفاهيم والمثل ، وصبغ الحياة كلها بالصبغة الغربية والتخطيط المدنى الشامل واقتباس أساليب الحياة التى لا تتفق مع تعاليم الإسلام ومعاييره فى الطهارة والنظافة والاعتدال والاقتصاد ، والوقوف عند الحدود التى رسمتها الشريعة الإسلامية ، ويعسر على المسلم معها التأدب بآداب الشرع والعمل بالسنن النبوية

www.abulhasanalinadwi.org

الكثيرة ، ويبتعد بها عن الحياة الإسلامية التى عاشها الرسول ﷺ والصحابة والتابعون لهم بإحسان ابتعادا كلياً ، وتضفى على الأمة شخصية أجنبية لا تعرف فيها إلا بالأسماء الإسلامية أو بالأزياء التى لا تزال بعض الشعوب العربية أو الإسلامية محافظة عليها ، أو عندما يرتفع صوت الأذان من منائر مساجدها ، أو عندما تدخل فى المساجد ـــ على قلة عدد الداخلين فى بعض البلاد وكثرتهم فى بعضها ـــ فلا يربطها بالإسلام إلا خيط رقيق من عقيدة وتقاليد دينية ، إذا انقطع هذا الخيط ـــ لا سمح الله بذلك ـــ انقطع كل شيء .

وأعتقد أنه من الميسور جداً الجمع بين التسهيلات المدنية والاستفادة بالآلات والمخترعات وما وصل إليه العلم الحديث ، وبين ما تمتاز به الحضارة الاسلامية من جمال وبساطة وجدية وعناية بالطهارة والنظافة ، والابتعاد عن الاسراف والتبذير ، والاغراق فى المظاهر الخارجية ، إذا وفقت الحكومات الاسلامية والمجتمعات الاسلامية للتخطيط المدنى المستقل ، البعيد عن التقليد الأعمى ، والارتجالية ومركب النقص ، وإذا توفر عندها الذكاء

www.abulhasanalinadwi.org

والاصالة والإيمان بفضل التعاليم الإسلامية والحضارة الإسلامية التى تنبثق عنها وتقوم عليها ، والاعتداد بشخصيتها ، وكان هذا التخطيط أجمل وأفضل وأكثر جلبا للأقطار واستهواء للقلوب ، وأبعث على الاحترام والتقدير ، ويؤم هذه المدن عدد من السياح بل من قادة الفكر ورواد العلم ، أكبر من العدد الذى يؤمها الآن من المتنزهين ، وربما يكون هذا الطراز الجميل الأصيل من المدنية باعثا لكثير من الأقطار الغربية على تقليد بعض هذه الجوانب واقتباسها ، وعلى الأقل على التفكير فيها وتقديرها ، كما كان الشأن مع الحضارة الإسلامية الأندلسية التى كان لها تأثير عميق فى الحضارة الغربية وفلسفتها وآدابها .

ولكن مع الأسف الشديد لم يوفق لذلك قطر واحد من الأقطار الشرقية والغربية ، العربية ، والإسلامية ، فلم تكن عند أحدها جرأة كافية تحملها على مجرد هذه التجربة ، وكانت النتيجة أن أصبحت هذه الأقطار كلها نسخة ناقصة من المدنية الغربية ، وصورة شاحبة لها لا

www.abulhasanalinadwi.org

تسترعى اهتمام الغربيين ، ولا تحرك فيهم مشاعر الإجلال والاحترام ، وإنما يقولون إذا زاروا هذه المدن متفرجين أو مشاهدين : « بضاعتنا ردت إلينا » .

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org